اقتران العذاب بصفات متعددة في السِّياق القرآني

The association of torment with multiple characteristics in the Qur'anic context

م. د. ياس خضر محمد إسماعيل
Dr. Yas Khader Mohamed Ismail
الكلية التربوية المفتوحة – مركز كركوك
The Open Educational College / Kirkuk Center
Email: yasbayat30@gmail.com

ملخص البحث

سعى البحث إلى الكشف عن دلالة ((اقتران العذاب بصفات متعددة في السِّياق القرآني))، والمتتبع لكلمة العذاب في القرآن الكريم يرصد تغييرات تطرأ على دلالاتها وفق الصفة التي تقترن بها، فضلا عن السياق الذي ترد فيه، وذلك تضامنا مع مراد الآية ومبتغاها؛ فتارة نرى العذاب يقترن بالأليم، وتارة بالشديد والعظيم، وغيرها من الصفات التي تختلف باختلاف مقام الآية والغرض الذي سيقت له الآية، إذ لا يصح وضع صفة مكان صفة أخرى؛ لأنَّ هذه الأوصاف لم ترد محض صدفة بل أنَّها موضوعة لبيان معنى من المعاني، فضلا عن الأغراض البلاغية التي لا تظهر فيها إلا بالتمحيص والبحث عن السابق واللاحق لهذا الاقتران، لذا فَإِنَّ الدراسة تقوم أولًا ببيان الأبعاد النظرية للموضوع، بدءًا من الصفة ومعيارها الوظيفي، مرورا بالسياق ودوره في تعدد الصفات، ومدى تأثير هذه الصفات في توجيه دلالة الموصوف، ثُمَّ دراسة الآيات القرآنية التي انتخبناها، منطلقين من الدلالة المعجمية للصفة المقترنة بالعذاب وإنتهاء بدلالتها السياقية.

الكلمات المفتاحية: اقتران العذاب، تعدد الصفات، السياق القرآني.

Abstract

The research sought to reveal the significance of ((the association of torment with multiple attributes in the Qur'anic context)), and those who follow the word torment in the Holy Qur'an observe changes that occur in its connotations according to the attribute with which it is associated, as well as the context in which it occurs, in solidarity with the intent and purpose of the verse; Sometimes we see torment associated with painful, and sometimes with severe and great, and other attributes that differ depending on the status of the verse and the purpose for which the verse was directed, as it is not correct to put one attribute in place of another; Because these descriptions were not mentioned by chance, but rather they were created to explain one of the meanings, in addition to the rhetorical purposes that do not appear in them except through scrutiny a nd searching for the antecedent and consequent of this conjunction. Therefore, the study first clarifies the theoretical dimensions of the topic, starting with the attribute and its functional criterion, passing through the context. Its role in the multiplicity of attributes, and the extent of the influence of these attributes in directing the meaning of what is described. Then we study the Qur'anic verses that we chose, starting from the lexical meaning of the attribute associated with suffering and ending with its contextual meaning.

Keywords: association of torment, multiple attributes, Quranic context.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل من الماء كلَّ شيء حيّا، وجعل العذاب لمن كفر حداً، والصلاة والسلام على المبعوث بالحق رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعدُ:

ولمَّا كانت صفات العذاب في القرآن الكريم تتعدد وتدور حول الألم والشدة والوعيد في الدارين، ارتأينا دراسةَ هذه الآيات التي تشير إلى صفات العذاب؛ لبيان دلالاتها الاقترانية التي يُحدثُهُا السِّياق القرآني، من خلال النظر إلى السابق واللاحق للصفة المراد دراستها؛ فضلا عن البحث عن مقتضى حال الآية وسبب نزولها؛ لأنَّ اقتران هذه الصفات بالعذاب لم يأتِ محض صدفة بل لغاية ومقاصد يقتضيها ربُّ العزةِ، وهذه المقاصد لا تظهر عيانا إلا بالاعتماد على الذوق اللغوي المستنير بكتب اللغويين والنحويين، والمفسرين، والبلاغيين الذين حرصوا على الكشف عن المراد من النص في ضوء ما أتيح لهم من معالم وقرائن معينة على فهمه.

وأمَّا المُنْهَج المتبع في الدراسة فهو المنهج الاستقرائي والتحليلي، إذ تأتي هذه القراءة التحليلة الجمالية؛ للكشف ما للخطاب القرآني من بلاغة، وحسن تصوير وانعكاس ذلك على الجانب الدلالي والعبادي والانفعالي للعباد، لهذا أردت أن أقف على دواعي البحث بمقدمة ومبحثين، جاء الأول للتعريف بالأبعاد النظرية للموضوع، والثاني عن اقتران العذاب بصفات متعددة، وتليهم الخاتمة بأهم النتائج، فالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: الأبعاد النظرية للموضوع[1]

أولا: الصفة ومعيارها الوظيفي:

الصفة (النعت) لغة: جاء في العين أنَّ النعت هو ((وصفُكَ الشيءَ بما فيه، ويُقالُ: النَّعْتُ وصف الشيءِ بما فيه إلى الحسن مذهبُه، إلَّا أنْ يتكلّفَ متكلّفٌ، فيقول: هذا نعتُ سوءٍ))[2]، في حين يرى ابن فارس (٣٩٥هـ) أنَّ الصفة من (وَصَفَ) و((الواو والصاد والفاء: أصلٌ واحد، هو تحليةُ الشيء، والصفة الأَمارة اللازمة للشيء))[3]، وهو يقصر النعت على وصف الشيء بما فيه من حُسن، وعنده((كل شيء جيد بالغٍ

(١) لم أورد تعريف الاقتران في التمهيد؛ لأني قد عرفتها في أطروحتي الموسومة بـ(الاقتران السياقي لحروف المعاني ببعضها في القرآن الكريم): ص٧-٨.
(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٢/ ٧٢.
(٣) مقاييس اللغة: ٦/ ١١٥.

نعتٌ))[1]، فالصّفة الأَمارة اللازمة تعني أنَّ هذا الشيء صار موصوفاً بهذه الصفة، ومنه قول طرفة ابن العبد البكري[2](البحر البسيط):

إِنِّـي كَفَـانِيَ مِـنْ أَمْـرٍ هَمَمْـتُ بـهِ جـارٌ كجـارِ الحُـذاقيِّ الـذي اتَّصـفا

أي صار موصوفاً بحسن الجوار[3].

فالصفات يراد بها طلاق المعنى وعمومه للموصوف، بأفعاله وأحواله لا بِخلْق فيه أو علامة في ذات جوهره، في حين أن النعوت خاصة؛ لأنَّها تستعمل فقط فيما يتغير من الجسم، ولذلك لا يجوز إطلاقها على الله عز وجل[4].

_ الصفة اصطلاحاً:

فقد عُرِّفَت الصفة بأنَّها ((وصف للفظ يتبع الاسم الموصوف تحلية له، وتخصيصاً ممن له مثل اسمه بذكر معنى في الموصوف، أو في شيء من سببه))[5]، والصفة تندرج ضمن تعلق الأسماء ببعضها، كما أشار إلى ذلك الجرجاني(٤٧١ه) بقوله: ((فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبرا عنه أو حالا منه، أو تابعا له صفة أو تأكيدا أو... إلخ))[6]، وعرّفها الزمخشري(٥٣٨ه) بأنها((الاسم الدال على بعض أحوال الذات وذلك نحو: طويل، وقصير، وعاقل... والذي تساق له الصفة هو التفرقة بين المشتركين في الاسم، ويقال: إنها للتخصيص في النكرات وللتوضيح في المعارف))[7]، وقيل الصفة هي ((تخصيص الاسم لصفةٍ هي له، أو لسبب يضاف إليه))[8].

نخلص من ذلك، أنَّ الصفة هي لفظة تابعة لسابقه، أو تعليق الموصوف العام بصفة خاصة.

أنواع الصفة وأغراضها:

الصفة تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: الصفة المفرد مثل ذلك:{وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِين}[البقرة:٩٠]، والصفة الجملة، سواء كانت فعلية أم اسمية، فمن الفعلية مثالها قوله تعالى:{وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ}

(١) مقاييس اللغة : ٥/ ٤٤٨.
(٢) ديوانه: ٢١٤.
(٣) لسان العرب، ابن منظور:٩/ ٣١٩.
(٤) ينظر: معجم الباقلاني في كتبه الثلاثة: التمهيد، والإنصاف، والبيان، سميرة فرحات: ٢٢
(٥) اللمع في العربية، ابن جني: ١٣٨.
(٦) دلائل الإعجاز: ١٤.
(٧) المفصل في علم العربية، الزمخشري: ١١٧.
(٨) نتائج الفكر في النحو، السهيلي: ٢٠٢.

[الأنعام:٩٢]، والصفة شبة الجملة قوله:{هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ}[آل عمران:١٦٣]، كما تأتي الصفة على صيغة اسم الفاعل، أو صيغة المبالغة، أو اسم المفعول، أو الصفة المشبهة، أو الاسم المنسوب، أو أفعل التفضيل، وكذلك أسماء جامدة تشبه المشتق في دلالتها على معناه(١).

وللصفة أغراض متعددة تساق الصفة من أجلها هي: التخصيص مثل (جاءني رجل صالح)(٢)، التوضيح، والمقصود به إزالة الاشتراك العارض في المعرفة، نحو قولنا: (مررتُ بزيدٍ الخياط)(٣)، وعلى الثناء والمدح، نحو (بسم الله الرحمن الرحيم)(٤)، والذَمُّ والتَّحقير، مثل ذلك: (أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيمِ) (الرجيم) صفة للشيطان على جهة الذم(٥).

وكما لها فوائد منها أنَّها تأتي للتوكيد، كمثل قول العرب: (أمسِ الدّابر) فأمس هنا ماضٍ والدابر صفة لم تفد زيادة معنى وإنما جاءت للتوكيد(٦)، وتدل أيضا على التفصيل، ((ومن التفصيل قولهم: (مررتُ برجلين عربيٌّ وعجميٌّ كريمٍ أبواهما لئيم أحدهما)، فكل من (عربيٌّ) و(عَجَميٌّ) نعوت حقيقية و(كريمٍ) و(لئيمٍ) نعوت سببيّة))(٧)، وأخيرا على ((الإبهام والتعميم، ومن التعميم قولهم: (يرزق الله عبادهُ الطَّائعين والعاصين الساعية أقدامهم والساكنة أجسامهم) (الطائعينَ) و (العاصين) صفات للموصوف (عباده) على سبيل التعميم))(٨).

ثانيا: السِّياق ودوره في توجيه دلالة الصفة في القرآن الكريم

إن أصل لفظة(السياق) هي((سِوَاق، فقُلبت الْوَاوُ يَاءً لِكَسْرَةِ السِّينِ، وَهُمَا مَصْدَران مِنْ سَاقَ يَسُوقُ))(٩)، ويقال: ((وتَسَاوَقَتِ الإبلُ تَسَاوُقاً: إذا تتابعتْ، وَكَذَلِكَ تَقَاوَدَت فَهِيَ مُتَقاوِدة ومتساوِقةٌ))(١٠).

والسياق يدل على مراد المتكلم ومقصده من كلامه، وهي المرشد إلى بيان المجملات، وتعيين

(١) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن: ٣/ ٤٥٨-٤٦٣.
(٢) شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي: ٢/ ٣١٤.
(٣) شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: ١/ ١٤٢-١٤٣.
(٤) ينظر: شرح المفصل: ٣/ ٤٧.
(٥) ينظر: شرح كافية ابن حاجب: ٢/ ٣١٤.
(٦) ينظر: شرح المفضل: ٢/ ٦٠١.
(٧) منهج السالك إلى ألفية ابن مالك: ٢/ ٧٠.
(٨) المصدر نفسه: ٢/ ٧٠.
(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٢/ ٤٢٤.
(١٠) تهذيب اللغة، الأزهري: ٩/ ١٨٥.

المحتملات[١]، فالسياق محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز[٢].

وقال العز بن عبد السلام(٦٦٠هـ)[٣]: ((السياق مرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما، فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذماً واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال مثل ذلك قوله تعالى:{ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيم}[الدخان:٤٩] أي: الذليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم))[٤].

وعلى هذا فالصفة في القرآن الكريم لا تأتي إلَّا وهي مناسبة لمقتضى المقال والمقام؛ لأنَّ أيّ اختلاف في السياق يؤدي إلى اختلاف المعنى حتما، إذ العلاقة بين الصفة والموصوف في سياق لغوي منسجم علاقة تكاملية، فالمفردة هي التي تكوِّن السياق اللغوي، والسياق يوجه دلالة تلك المفردة، فكل لفظٍ في القرآن وضع لتأية غرض ومعنى ما، فضلا عن تآلف هذه الألفاظ وعلاقة بعضها ببعض من حيث اللفظ والمعنى.

وهنا لا نقصر المعنى في المقال وسياقه اللغوي بل المقال وحده لا يكون محددا للدلالة إلَّا بمساعدة مقامه أي الشق الاجتماعي المصاحب له، فعبارة (أهلا وسهلا)، تقال عادة في الترحيب، ولكن قد يفهم منها في المواقف الكلامية المنطقية المختلفة غير ذلك، فعندما يقولها مدير العمل للموظفين الذين حضروا متأخرين عن موعد حضورهم بطريقة معينة، فإنَّها تدل على التوبيخ، وفي مواقف أخرى تدل على السُّخرية أو التهكم أو الشماته، وكثير من النصوص اللغوية نجد صعوبة في فهمها على الوجه الدقيق بسبب قطعها عن السياق الحالي أو غيبة بعض عناصره، ولهذا فإنَّ الاهتمام بسياق الحال، فضلا عن عن سياق القول ضروري للوصول إلى المعنى الدقيق والواضح؛ لأنَّه يراعي أحوال المخاطبين ويقدر الألفاظ بأقدار المعاني؛ فضلا عن مراعاة علوم العربية التي تكشف المعنى المحيط للنص.

ولذا فإنَّ معرفة سبب نزول الآية – التي هي الأحداث والمناسبات للنص القرآني- من أهم وسائل

(١) ينظر: إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد: ٢٩٢.
(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١/ ٣١٧.
(٣) هو الشيخ عز الدين عبد العزيز عبد السلام الدمشقي السلمي، كان شيخا للإسلام، عالما ورعا زاهدا، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، توفى سنة (٦٦٠هـ)، ينظر: طبقات الفقهاء، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي: ٢٦٧/١
(٤) الإمام في بيان أدلة الأحكام: ١٥٩.

الفهم الدقيق للنص القرآني، ومعرفة خصائص الدلالات وظلال التعبير، فضلا عن الوقوف على أسرار تعدد الصفات لموصوف واحدٍ دون غيره، ومن هنا كان للسياق دور بارز في تآلف الكلمات، وانضمام الكلمات بعضها ببعض؛ لتشكل نظما يوزان مقام النص وحال المخاطبين.

المبحث الثاني: اقتران (العذاب) بصفات متعددة

إنَّ كلمة العذاب وردت في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، إذ جاءت مقترنة بأوصاف متعددة، ولكل صفة دلالة خاصة في سياقها، يراعي فيه حال المخاطبين، فإذا ما أمعنا النظر في كلمة (عذاب)؛ لتوصَّلْنا إلى أنّ السياق القرآني الذي يُمَيِّزُ بين أنواع عديدة من العذاب بحسب المكان، ونوعية العذاب، وكذلك أجناس المعذّبين، وسبب تعذيبهم، فصفة العذاب تختلف باختلاف موقعها، فضلا عن تعريف العذاب وصفته وتنكيره يتوقف للمقال والمقام.

وعند استقراء الآيات التي ذكر فيها العذاب وجدتها في مئة وستة وثلاثين موطنا من القرآن الكريم، إذ شاع اقتران العذاب بصفة الأليم في سبعين موطنا، واقترانه بصفة الشديد جاء في المرتبة الثانية في عشرين موطنا، في حين صفة العظيم جاءت في خمسة عشر موطنا، وصفة المهين في أربعة عشر موطنا، والمقيم في خمسة مواطن، والغليظ في أربعة مواطن، والكبير في ثلاثة مواطن، والقريب، والنُّكر، والضُّعف في موطنين لكل منها، في حين جاءت صفة البئيس، والهون، والوصب، والصعد، والمستقر، والواقع في موطن واحدٍ لكل منها، وتركنا دراسة اقتران العذاب بصفات منفردة؛ تماشيا مع العنوان الذي ألزمْنا أنفسَنَا فيه؛ لأنَّ الاقتران هو مصاحبة ومزاوجة فضلا عن عن التتابع، وهذه المزاوجة والمتابعة يتحتم تكرارها أكثر من مرة حتى تندرج ضمن الاقتران، وإلا لا تعد اقترانا؛ لذلك استبعدنا هذه الصفات من الدراسة؛ لمجيئها مرة واحدة.

ومجيء هذه الصفات مقترنة بالعذاب ليس محض صدفة، بل أنَّهما يشتركان في وصف بعض الأشياء، وهذا الأمر فيه ملمح أسلوبي سياقي يحتاج إلى تأمل؛ ذلك من خلال الوقوف على الدلالة المعجمية لهذه الصفة ومدى القدرة الدلالية التي تمتلكها؛ لتنتقل في السياق من دلالة إلى أخرى؛ ولتنسجم مع الموصوف وصولاً إلى العلاقة الدلالية بينهما، والغاية التي سيقت لها الآية.

أولا: اقتران العذاب بصفة (الأليم):

جاء وصف العذاب في القرآن الكريم بالأليم، وهو أكثر الأوصاف ورودا، فكلمة العذاب أخص من كلمة الألم، فالعذاب هو الألم المستمر، في حين الألم قد يكون مستمراً وغير مستمر، فليس كلُّ ألم عذاباً بل

كلُّ عذاب ألمٌ[١]، والأليم: هو المُوجعُ، بصرفِ مؤلم إلى(أليم)، كما يقال: ضَرْبٌ وجيعٌ بمعنى مُوجع[٢]، إذ جاءت كلمة (أليم) ردفا لكلمة العذاب، لبيان أنَّ الألم عذابٌ مستمرٌ، كما هو مبين في قوله تعالى: {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُون}[البقرة: ١٠]، وموطن الشاهد في الآية هو قوله جل ثناؤه: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٣]، أي مستمر ملتصق بهم لا ينفك عنهم كوجع فهو وجيع، فهو وصف للمبالغة وهو غاية المبالغة في الإيلام[٤]، وتنكير العذاب دلالة على شدة الوجع الذي هم فيه، قال ابن عباس_ رضي الله عنهما_: ((نزلت هذه الآيات في منافقي أهل الكتاب منهم «عبد الله بن أُبي ابن سلول، ومعتب بن قشير، والجد بن قيس»، كانوا إذا لقوا المؤمنين يظهرون الإيمان والتصديق، ويقولون: إنّا لنجد في كتابنا نعته وصفته))[٥]، في حين المَنَاسَبَة التي جاءت بها الآية هو أنَّه ((لما ذكر الله تعالى في أول السورة صفات المؤمنين، أعقبها بذكر صفات الكافرين))[٦].

ولو تأملت الآيات التي وردت فيها كلمة العذاب منكرة بوصفها بالأليم؛ لوجدت أكثرها وعيد وردع للكافرين الذين يكذبون بما أُرسِل إليهم من رسل وكتب سماوية، فضلا عن المعاندة والاستكبار الذي هم عليها، وكما أننا نجد تنكير العذاب يوافق تجهيلهم بعدم تسمية الفئة التي تذوق العذاب الأليم، بل اكتفى رب العز – جل شأنه– في سياقات كثيرة بالإشارة إليهم بصفتهم الطاغية عليهم وهي الكفر والظلم والخسران والنفاق والتعند وعدم تقبل ما يملى عليهم من أوامر الله ونواهيه، وهذا إنْ دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدل على أنَّ التنكير في الألفاظ يدل على العموم والغور في المعنى، وتنكير الأليم والعذاب واقترانهما في مكان وسياق واحدٍ فيه إشارة للمخاطب بأنَّ هذا العذاب لا حدَّ له ولا وقت بل هو مستمر دون انقطاع.

وإذا ما وقفنا عند صيغة (فعيل) ودلالتها، نجد أنَّها تتحقق فيها دلالة صيغة المبالغة والصفة المشبهة في آن واحد، فكأنَّ هذا الألم مستمر ويتجدد في كل مرة وبكثرة، أو أنَّه صفة دائمة فيهم؛ لِمَا اقترفت أيديهم من الذنوب.

(١) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٢٣٩.
(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١/ ١٢٦.
(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري: ١/ ٢٨٣ .
(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ١ /٤٥ .
(٥) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني: ١/ ٢٩ .
(٦) المصدر نفسه: ١/ ٢٨.

لو لاحظت العذاب الأليم في قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}[آل عمران:٧٧]، لوجدته يدل على الاستمرارية والتجدد، فدلالة الأفعال المضارعة (ولا يكلمهم)، و(ولا ينظر إليهم)، (ولا يزكيهم) خير دليل على استمرار تعذيبهم والتنكيل بهم، وعذابهم واقع لا محالة، وثمة إشارة لطيفة في هذه الأفعال هي أنَّها جيء معها بضمير الجمع (هم) للدلالة على أنهم يقومون بهذه الأعمال الشنيعة كالتكذيب والمكابرة على سبيل التكثير والمبالغة وأنهم متفقون عليها، وكأنَّهم يقومون بذلك في آنٍ واحدٍ، وهم بذلك بلغوا الدرجة القصوى في الفظاعة والكفر بالله.

في حين نرى هذا العذاب المستمر الموجِّع لم يقتصر بحق الكافرين والظالمين بل تعداه إلى المؤمنين الذين إنْ اعتدوا وتجاوزوا حدود الله في المعصية وغيرها، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيم}[البقرة:١٧٨]، وقوله أيضا:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيم}[المائدة:٩٤][1]، وهنا العذاب مشترطٌ بالاعتداء على حدود الله وتجاوزه، فالعذاب سيقع إن وقع منهم ذلك الاعتداء.

في حين نجد مجيء العذاب معرفا، وهذا التعريف يبين لنا أصنافا محددة يذوقون العذاب، فربّ العزة حين يورد كلمة العذاب معرفة يناسب القول بتعريف المعذَّبين وسبب تعذيبهم، فقوله تعالى:{وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيم}[الحجر:٥٠]، فالآية وردت بعد مخاطبة الله -تعالى- عباده بضمير المتكلم، {نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيم}[الحجر:٤٩]، إشارة منه -سبحانه- أنَّ هؤلاء النفر من خلقي هم خاصتي واختياري لكنَّي لا استثني أحدا منهم من العذاب المقرر، إذا ما أساء له نفسه الأمارة بارتكاب المعاصي.

وقد أخبر الله تعالى عبادة بأن عذابه لمن أصرّ على معاصيّ، وأقام عليها ولم يتب منها، هو العذاب الموجع الذي لا يشبهه عذاب، وهذا من الله تحذير لخلقه بعدم ارتكاب المعاصي، وأمرٌ منه لهم بالإنابة والتوبة[2]، فالعذاب الأليم الذي اختصت بها الآية الكريمة بحق المؤمنين هو الترهيب لمن يصرُّ على المعصية إصراراً[3].

(١) ينظر: سورة التوبة: ٣٤،٣٩، وسورة الأحقاف: ٣١، وسورة الصف: ١٠.
(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١١١/١٧.
(٣) ينظر: زهرة التفاسير: ٤٠٩٣/٨ .

ثانيا: اقتران العذاب بصفة (الشديد):

جاء نعت العذاب بالشديد في الكتاب العزيز بالمرتبة الثانية في عشرين موضعا في القرآن الكريم، وهذه اللفظة تحمل في طياتها معنى المشقة واشداد الأمر وقوته، وقد غلب لهذه الصفة التنكير، إذ اقترنت بالعذاب منكرة في سبعة عشر موطنا، ومنها قوله تعالى:{وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُون}[الأنعام:١٢٤]، في حين وردت كلمة الشديد معرفة في موضعين، منها قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيد}[ق: ٢٦]، وأَن الشدَّة فِي الأَصْل هِيَ مُبَالغَة فِي وصف الشَّيْء فِي صلابة، وَلَيْسَ هُوَ من قبيل الْقُدْرَة، وَلِهَذَا لَا يُقَال: الله شَدِيد[١]، فالعذاب المشدد هو تشبيه لما يحصل في النفس من ضيق العذاب وألمه بالمشدود؛ لأنَّ هذه اللفظة تحمل من معنى القوة والصلابة والمشقة أكثر مما ينبغي؛ لأنَّ((الشِّدَّةُ: الصَّلابةُ، وَهِيَ نَقِيضُ اللِّينِ تَكُونُ فِي الْجَوَاهِرِ والأَعراض، وَالْجَمْعُ شِدَد))[٢]، كما أنَّ ((الشِّدَّةُ لَا يُعْنَى بِهِ شدةُ النَّفْس إِنما يُعْنى بِهِ شِدَّةُ الأَمر عَلَيْه))[٣]. فهو إذن نقيض الرخاء؛ لاتسامها بالصلابة، وأغلب استعمالاتها للجواهر والأعراض.

وإنَّ السياق الذي دلت عليه الآية الكريمة هو التنويه والتنديد، والترهيب، وفيها تلقين جليل مستمر المدى، ينطبق على كل ظرف ومكان في سبيل المقايسة بين الضالين والمهتدين، والمستقيمين والمنحرفين[٤]، فالشديد الذي يمنع الرخاء في الدين والتقصير فيه؛ يناسب حال هؤلاء المستمرين والمطبقين على نكران الهداية.

أمَّا شدة العذاب في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُون} [المؤمنون:٧٧]، فكأنَّ من شدته وقوته قد ألصق بهم (فيه مبلسون)، وصيغة شديد(فعيل) بمعنى (مفعول) أي (شديد) بمعنى (مشدود) ووصف العذاب بالشديد دلالة على أنَّ العذاب اشتد بهم فلا يفلتون منه، فهو دائم الالتصاق بهم لا ينفك عن مستحقيه، فضلا عن الفعل (شدَّ) متعدٍ، وكأنك تقول: شدَّ الله العذاب إليهم، فالعذاب مشدود بهم لا ينفك عنهم أبداً.

ثالثا: اقتران العذاب بصفة (العظيم):

(١) ينظر: الفروق اللغوية:١ /١٠٧ .
(٢) لسان العرب: ٣/٢٣٢.
(٣) المصدر نفسه: ٣/٤١٩.
(٤) ينظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت: ٤/١٥٢,

وصف العذاب بالعظيم في القرآن الكريم في خمسة عشر موطنا، إذ إنَّ((الْعَظِيم يكون من جِهَة الْكَثْرَة وَمن غير جِهَة الْكَثْرَة، وَقد يعظم الشَّيْء من جِهَة الْجِنْس وَمن جِهَة التضاعف، وإنَّ وصف العذاب بالعظيم هو أعم وأشمل من وصفه بالشديد أو الأليم))[1]، وصفة الله (العظيم) هو الذي جاوز قدره وجلَّ عن حدود العقل حتى لا تتصور الإحاطة بحقيقته[2]، بمعنى عظيم الشأن الذي لا يساويه شيء، وسمي العذاب عظيما؛ لعظم البلاء والألم الذي فيه، كما في قوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[الأنفال:٦٧-٦٨]، ومجيء العظيم صفة للعذاب جاء مناسبا لمقام الآية التي تبين أنَّ أعظم جهاد مضى هو جهاد يوم بدر، فالسياق سياق إظهار القوة والشدة والعظمة[3].

نزلت الآية عندما اختلف الناس في أسارى بدر، ((فاستشار النبي _ صلى الله عليه وسلم_ أبا بكر وعمر فقال أبو بكر: فادهم، وقال عمر: اقتلهم، قال قائل: أرادوا قتل رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ وهدم الإسلام، ويأمره أبو بكر بالفداء، وقال قائل: لو كان فيهم أبو عمر أو أخوه ما أمر بقتلهم فأخذ رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ بقول أبي بكر ففاداهم، فأنزل الله -جلَّ شأنه- قوله تعالى: {لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}))[4].

إنَّ العذاب العظيم يأتي وعيدا لجرم كبير، كالشرك والقتل العمد والخروج عن الدين، من فعلَهُ يستحق العقاب، وأسلوب الآيات عتابي على فعل ما هو غير الأولى في علم الله[5]، وبما أنَّ كلمة العظيم تدلُّ على الأمور المعظمة، ولا تقترن إلَّا بالشيء العظيم مكانة ومقدارا وحجما، وكذا وصف العذاب بالعظيم تحمل من أوجه الحقيقة شأنا عظيما وأثرا كبيرا للمعذب به، فضلا عن قصد المبالغة في تعظيم العذاب وتفظيع شأنه، وهذه الدلالة تشير إليها لفظة (المسِّ)؛ لأنَّ اللَّمْسُ هو طلب الشيء باليد[6]، فكأنَّ هذا العذاب كان يلامسهم لولا قضاء الله السابق لهذا العذاب، لذا كان وصف العذاب بالعظيم كان مناسبا؛ لهول الموقف الذي وقع من الصحابة في اختلافهم في حال الأسرى بين المفاداة والقتل.

(١) الفروق اللغوية: ١/١٨٣.
(٢) الفروق اللغوية: ١/١٨٣.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٠/٧٢ .
(٤) البحر المحيط في التفسير، محمد بن حيان أثير الدين الأندلسي: ٥/٣٥٢.
(٥) ينظر: التفسير الحديث: ٧/٩١ .
(٦) ينظر: العين: ٧/٢٦٨.

فمجيء هذا الوصف مقترنا بالعذاب كان مناسبا للمقام والمقال؛ لأن المقام كان يقتضي التخويف بشيء أعظم؛ لبيان الجرم الذي سيقع، ومناسبا للمقال؛ لأن السياق في إطاعة أوامر الله وعدم الاجتهاد، ومعنى ذلك أنه -سبحانه- لولا لطفه؛ لأنزل عذابه الذي عظَّمه بعظم الجرم الذي كان سيقترف.

رابعا: اقتران العذاب بصفة(المهين):

جاء وصف العذاب بهذا النعت في القرآن الكريم في أربعة عشر موطناً، ((وَقَالَ اللَّيْث: رَجُلٌ مَهِين: ضَعيف حَقِير، وَقد مَهُن مَهانةً))[1]، وجاء في اللسان أنَّ((المهين من الرجال: الضعيف))[2]، والمهين المستضعف، وهو على((وزن (فعيل) من المهانة يقال: مهن يمهن مهانةً ومَهَنْتُهُ مهَنا، وأنا ماهنٌ، وهو مهونٌ ومَهينٌ))[3]، ومجيء هذا الوصف الدال على الضعف، والإهانة مقترنا بالعذاب في قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِين}[الحج:٥٧]، بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السالفة أن قوم الرسول _ صلى الله عليه وسلم_ قد كذّبوه بوسائل شتى من التكذيب، فإن الله يجازى الذين كذبوا بآياته وكانوا في مرية من رسالة رسوله بالعذاب المهين جزاء وفاقا على تدسية أنفسهم وتدنيسها بزائغ العقائد وسيء الأعمال وباطلها[4].

وقتران العذاب بالمهين دلالة على استصغار من يستهزئ بالدين أو يستبدله بعرض من الدنيا قليل؛ لأنه متى ما اقتران العذاب بهذا الوصف كان القصد منه الذلة والمهانة لصاحبه، ومما يعننا على هذا المعنى أكثر هو سياق الآية الذي يدل على استعلاء الكافرين على الحق وآيات[5]، ووقوع العذاب بهم على الفور بدلالة حرف العطف الفاء في (فأولئك) الدال على التعقيب[6]؛ فكأنَّ العذاب رافقه تلك الإهانة على الفور؛ فهي صفة ترويع وتهويل؛ فضلا عن (المهين) اسم فاعل من (أهان)، وهو الوصف الدائم على صاحبه على سبيل الاستحقار والاستهانة.

خامسا: اقتران العذاب بصفة (المُقيم):

تم اقتران العذاب بالمقيم في السياق القرآني في خمسة مواطن، والمقيم اسم فاعل من(أقام)، ويقال:

(١) تهذيب اللغة: ٦/١٧٥.
(٢) لسان العرب: ١٣/٤٢٤.
(٣) الفروق اللغوية: ١/٢٥١.
(٤) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي: ١٧/١٢٨ .
(٥) ينظر: زهرة التفاسير: ٩/٥٠١١ .
(٦) ينظر: نتائج الفكر في النحو: ١٩٦، وشرح شافية ابن الحاجب، الأستراباذي: ٢/٨٩٠

((أَقَمْتُ بالمكان إقامةً ومُقاماً، والمَقامُ: موضع القَدَمَيْنِ، والمُقامُ والمُقامةُ: الموضع الذي تقيم فيه))[1]، وجاء في الصحاح أنَّ المُقامَةُ بالضم ((الإقامَة...وأمَّا المَقامُ والمُقامُ فقد يكون كلُّ واحدٍ منهما بمعنى الإقامة))[2]، والإقامةُ هو الدوام على شيء والمكوث فيه، وكذلك العذاب المقيم هو العذاب الدائم الخالد الذي لا ينفك عن صاحبه ولا نهاية له، ولو تأملنا القرآن الكريم لوجدنا هذه الصفة تلازم العذاب ولا تقترن إلا به، ومن ذلك اقترانها في قوله تعالى:{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ}[الشورى:٤٥].

الآية تتحدث عن ذل الكافرين حال عرضهم إلى جهنم، ينظرون إليها بطرفهم خوفا ولايجدون نصيرا[3]، فكأنَّ هذا الوصف يدل على عذاب دائم وصاحبه مقيم فيه وآيس بأنَّه سيخرج منه، إذ إنَّ العذاب صار موطنا للإقامة فيه -إلا ما شاء ربي-، ومخاطبتهم بالجمل الفعلية المضارعة (يعرضون) و(ينظرون) دلالة على تجدد العرض والنظر إلى جهنم باستمرار؛ لزيادة الذُّل والخزي، وإشعارا بأنهم مقيمون فيها غير منفكين عن العذاب.

فعذاب مقيم أعم من حالة تلهفهم على أن يردوا إلى الدنيا، وذلهم وسماعهم الذم، والمقيم:((الذي لا يرتحل، ووصف به العذاب على وجه الاستعارة، شبه المستمر الدائم بالذي اتخذ دار إقامة لا يبرحها، وجاء سياق الآية الكريمة على سبيل التوعد لبيان عجز الكفار عن المقاومة، وتمني الرجوع الى الدنيا))[4].

وتنكير العذاب وصفته إيذانٌ بعظم البلاء يوم يعرضون عليها خاسرين وظالمي أنفسهم، ولا سيما إقامتهم في جهنم وعدم الخروج منها.

سادسا: اقتران العذاب بصفة (الغَليظ):

جاء اقتران صفة الغليظ بالعذاب في القرآن الكريم في أربعة مواطن، والغليظ من غلظ وهو ضد ((الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش...[ويقال:]غلظ يغلظ غلظا: صار غليظا...وأمر غليظ: شديدٌ صعبٌ))[5]، فمجيء هذه الكلمة وصفا مقترنا بالعذاب كان متسقا لحال الكافرين الذين اغتروا بقوتهم

(١) العين: ٥/٢٣٣.
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: ٥/٢٠١٧.
(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن:٢١ /٥٥٤، والتحرير والتنوير: ٢٥/ ١٣٠.
(٤) التحرير والتنوير: ٢٥/١٢٩.
(٥) لسان العرب: ٧/٤٤٩.

وهددوا دعاة الحق والصلاح، ومن هذه الاقترنات قوله تعالى:{يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظ}[إبراهيم:١٧]، نرى أنَّ صفة الغليظ تشترك مع العذاب في الآية ((على تفظيع المشهد، تنسيقاً له مع القوة الغاشمة التي كانوا يهددون بها دعاة الحق والخير والصلاح واليقين))[١]، فضلا عن الإشعار بقسوة العذاب وعدم الرخاوة فيه من كل جهة من الجهات.

واقتران العذاب بهذه الصفة دلالة على قوته واتصاله؛ لأن الغلظة تستوجب القوة وتستدعي أن يكون متصلا تتصل به الأزمنة كلها فلا انفصال بينها[٢]، والغليظ: ((حقيقته الخشن الجسم، وهو مستعمل هنا على القوة والشدة بجامع الوفرة في كل، أي عذاب ليس بأخف مما هو فيه، ودلَّ سياق الآية الكريمة على الشدة والقسوة والانذار وهذا دلت عليه المواطن التي جاء فيها هذا الوصف))[٣].

سابعا: اقتران العذاب بصفة (الكبير):

إن اقتران العذاب بصفة الكبير أو الأكبر قد جاء في ثلاثة مواطن من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى:{فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلاَ نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا}[الفرقان:١٩]، أي: كذبكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم ودعوكم إلى عبادتهم فيما تقولون، وأنتم أيها المكلفون من يعبد غير الله كهؤلاء الذين كذبوا بيوم القيامة- نذقه في الآخرة عذابا كبيرا بقدر قدره، ولا تصل العقول إلى معرفة كنهه[٤].

والعذاب الذي لاقاه بعض الكافرين في الدنيا عذاب قليل نزر مقارنة بعذاب الآخرة وهو الأكبر، واستعمال فعل على سبيل الاستعارة والتضمين وهو (نذقه) لتشبيه العذاب بالذي يذاق كالمأكول والمشروب، فضلا عن دلالة الفعل المضارع القاضي بتجدد مذاق هذا العذاب واستمراريته.

وإنَّما سماه الله سبحانه العذاب الأكبر؛ لأنَّه لا يوجد عذابٌ يفوقه في الشدة والغلظة والعظمة والسرمدية، وكل ما يصيب الظالمين في الدنيا من نكبات هو من العذاب الأدنى، لأنَّ عذاب الآخرة هو الجزاء فيكون أكبر من عذاب الدنيا الذي قد يصيب الله به بعض الظلمة زيادة خزي لهم[٥].

(١) تفسير المراغي: ٤/ ٢٠٩٤

(٢) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي: ١٣/ ١٧٢ .

(٣) التحرير والتنوير: ١٣/ ٢١١ ، والتفسير الحديث: ٥/ ٢٢٥ .

(٤) ينظر: تفسير المراغي: ١٨/ ١٦٠ .

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود: ٧/ ٢٥٢، والتحرير والتنوير: ٢٣/ ٣٩٦.

ثامنا: اقتران العذاب بصفة (القريب):

جاء اقتران العذاب بصفته القريب في السياق القرآني في موطنين فقط، قال تعالى:{إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا}[النبأ: ٤٠]، إذ خاطب الله الكافرين في الآية وأنذرهم بعذابه، يوم يرى كل امرئ ما قدمت يداه من خير أو شر[١]، جاء في اللغة أنَّ ((القرب نقيض البعد، قَرُبَ الشيءُ، بالضم، يقرُبُ قُربا وقُرْبانا وقِرْبانا أي دَنا، فهو قريبٌ))[٢]، وورود هذه الصفة مقترنة بالعذاب فيها إشارة إلى تحقق قرب نزول العذاب، إذ استعمل الباري -عز وجل- الفعل (أنذر) ماضيا؛ للدلالة على حتمية وقوع هذا العذاب؛ لأنَّ مجيء الفعل الماضي بمعنى الاستقبال يدل على تحقيق الحدث، في حين كان سياق الآية الكريمة دالاً على الانذار وتحذير الكافرين من عاقبة عنادهم، وأنهم سيعلمون غدا ما قدمته أيديهم ويرونه حاضرا لديهم[٣].

تاسعا: اقتران العذاب بصفة (النُكر):

اقترن هذا الوصف بالعذاب في موطنين في القران الكريم، ((والنُّكْرُ والنَّكْراءُ: الدَّهاءُ والفِطنة، والإنكار ضد العرفان، وأصله أنْ يرد على القلب مالا يتصوره))[٤]، كما في قوله تعالى:{قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا}[الكهف:٨٧]، وصفة النُكر للعذاب تدل على عذاب لا يتصوره عقل صاحبه؛ بدليل تنكيرهما، إذ التنكير عام وشامل لكل ما يتصوره القلب وأكثر، فضلا عن السامع لهذا العذاب يظل متخوفا لا يعرف مصيره، وأيُّ عذابٍ سيلاقيه، فالعذاب متغير ومجهول لا يعرف شدته وقوته ومقداره وحجمه إلَّا الله -سبحانه-، ((فقد وصف هذا العذاب بأنه منكور، أي: مجهول وهي دلالات هذه الصفة، وقد وصف بالمصدر للمبالغة في غشيان العذاب لهم))[٥].

كما أنَّ صيغة (فُعْل) مصدر يدل على الصفات الجسدية حُسنا أو قُبحا، ولا تأتي إلَّا من الفعل اللازم[٦]، فكأنَّ صفة النُكر للعذاب توحي بأنَّ هذا العذاب يلازم أجسادهم فلا يبقي من حسنهم وجمالهم شيئا؛ لشدة العذاب الذي سيقع بهم.

(١) ينظر: التفسير الحديث: ٤٠٨/٥ .
(٢) لسان العرب: ٦٦٢/١.
(٣) ينظر: تفسير المراغي: ٢٠/٣٠ .
(٤) لسان العرب: ٢٣٢/٥.
(٥) من اسرار حروف العطف في الحكيم (الفاء وثم)، د٠ محمد الامين الخضري: ١٥٩
(٦) الكتاب: ٢٨/٤.

عاشرا: اقتران العذاب بصفة (الضِّعف):

مجيء الضعف صفة للعذاب في القرآن الكريم في موضعين، منها قوله تعالى:{قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُون} [الأعراف:٣٨]، سياق الآية يوحي إلى أن الله جَلَّ جلالهُ أعد نار جهنم وهيأها وكأنما الحساب قائم، فهو يصور لنا مشهدا من مشاهد يوم القيامة، فكل أمة أو مجموعة من الناس تذم التي قبلها، وتشهد عليها بأنها كذبت الرسل وأشركت بربها تريد بذلك الخلاص، والنجاة من العذاب الذي سيضاعفه الله لهم، ((والضعف في كلام العرب: المثل إلى ما زاد، وليس بمقصور على مثلين... يقال هذا ضعف هذا أي مثله، وهذا ضعفاه أي مثلاه. وجائز في كلام العرب أن تقول: هذا ضعفاه أي مثلاه وثلاثة أمثاله، لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة...))[١]، والضعف هو زيادة الشيء مثله، فيقال: أضعفَ الشيءَ إضعافا، وضعَّفتهُ تضعيفا وضاعَفته مضاعفة، أي زاد على أصل الشيء وجعله مثليهِ أو أكثر[٢]، ((و(الضعف) بكسر الضاد وفتحها، معناه تثنية الشيء، أو مضاعفته الى أكثر من واحد))[٣].

وفي هذا النص القرآني دلالات معنوية تشير الى مدى شدة وطول فترة هذا العذاب، فإذا أنعمنا النظر في هذا المقطع القرآني وجدنا أن الأفعال كثيرة التكرار، لاسيما الماضي منها، إذ تكرر ثماني مرات، وهي تحكي لنا قصة حال ماضية يراد بها الاستقبال، كيف أن الأمم التي سبقتنا، يشهد بعضها على بعض ويلعن بعضها بعضا، وهذه السمة التعبيرية نجدها في زمن الفعل الماضي[٤].

إنَّ التكرار يحتمل أن يكون مناسبا لذكر العذاب الذي سيضاعفه الله جلَّ جلاله لهؤلاء الأقوام، فتكراره يوحي إلى تكرار العذاب واستمراره عليهم، كذلك قوى هذا الاسلوب مجيء(كلما)، فإذا جاء بعدها فعل ماضي أفادت الاستمرارية والحينية في الماضي والمستقبل[٥]، فضلا عن أنَّ العذاب لا يقع بهم مرة واحدة بدلالة صيغة التضعيف الدالة على الكثرة والمبالغة والشدة والرهبة لهذا العذاب.

الخاتمة

(١) تهذيب اللغة: ١/ ٤٨٠.
(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/ ٣٩٢.
(٣) معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ١/ ١٧٠
(٤) ينظر: معاني النحو: ١/ ٣٠٦.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٠٦.

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا، والصلاة والسلام على نبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_ وعلى آلة وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ:

فقد وقر في نفسي في آخر المطاف النتائج الآتية:

١. أثر السايق كان واضحا في وضع كل صفة موضعها من السياق القرآني؛ لأننا وجدنا استحالة استبدال صفة مكان أخرى.

٢. راعى اقتران العذاب بصفات مختلفة حال المخاطبين، فهو يميز من عذاب لآخر وفقا لأصحابها والذنب الذي اقترفوه.

٣. إنَّ الله تعالى يسوق صفات العذاب بحسب المكان، وأجناس المعذبين، وهذا التباين في العذاب يبرهن قوله تعالى:{وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[الكهف:٤٩].

٤. إنَّ أكثر الصفات اقترانا بالعذاب الأليم ثم الشديد ثم العظيم وهكذا.

٥. تنكير الأليم مع العذاب يدل على فظاعة العذاب وشدته، فضلا عن عدم تسمية معذبيه في هذه الحالة، في حين مجيئ الأليم معرفة مع موصوفه يبين أنَّ العذاب خاص بأصناف معينة ومحدودة يبينها رب العز – جل جلاله–.

٦. اقتران العذاب بالشديد يدل أنّ عذاب دائم الالتصاق بهم لا ينفك عن مستحقيه .

وهناك نتائج أخرى منثورة في أسطر البحث هذا. والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الكتب المطبوعة:

❖ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، نشر: مطبعة السنة المحمدية، (د.ط، د. ت).

❖ إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط، د. ت).

❖ الإمام في بيان أدلة الأحكام، الامام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: رضوان مختار بن غريبة، نشر: دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٧ه.

❖ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.

❖ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

❖ البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

❖ التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، نشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

❖ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

❖ تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

❖ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

❖ جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

❖ الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، نشر: دار الرشيد، دمشق، ومؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، (د. ت).

❖ ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: د. علي الجندي، نشر: دار الفكر، بيروت، ١٩٥٨م.
❖ زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، نشر: دار الفكر العربي، (د. ط، د. ت).
❖ شرح المفصل، موفق الدين بن علي ابن يعيش، تحقيق: أحمد السيد أحمد، القاهرة، نشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د. ط، د. ت).
❖ شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ_ ١٩٩٨م.
❖ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
❖ صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، نشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، (د. ت).
❖ طبقات الفقهاء، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: خليل الميس، نشر: دار القلم، بيروت، (د. ط، د. ت).
❖ العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال، (د. ط، د. ت).
❖ الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، نشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د. ط، د.ت).
❖ لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، نشر: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
❖ اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان ابن جني، نشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٧٩م.
❖ معاني النحو، د. فاضل السامرائي، نشر: جامعة بغداد بيت الحكمة، ١٩٨٧م.
❖ معجم الباقلاني في كتبه الثلاثة: التمهيد، والإنصاف، والبيان، سميرة فرحات، نشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
❖ مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، (د. ط، د. ت).
❖ من أسرار حروف العطف في الحكيم (الفاء وثم)، د. محمد الامين الخضري - مكتبة وهبة، القاهرة

ط١، ١٩٩٣م.

❖ منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، نور الدين علي بن محمد الأشموني، نشر: مطبعة علي صبيح وأولاده، مصر، (د. ط، د. ت).

❖ نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله السهيلي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، نشر: دار الاعتصام، (د. ط، د. ت).

❖ النحو الوافي، عباس حسن، نشر: دار المعاف، ط١٥، (د. ت).

❖ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الأطاريح والرسائل:

- الاقتران السياقي لحروف المعاني ببعضها في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه لـ(ياس خضر محمد)، جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢١م.

List sources and references

_ The Holy Quran.

❖ Ahkam al-Ahkam Sharh Umdat al-Ahkam, Ibn Daqiq al-Eid, published by: Sunnah al-Muhammadiyah Press, (ed., d. t).

❖ Guidance of the Sound Mind, Abu Al-Saud Al-Imadi Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, published by: Arab Heritage Revival House, Beirut, (ed., d. t.).

❖ The Imam in the Statement of Evidence of Rulings, Imam Izz al-Din bin Abdul Aziz bin Abdul Salam al-Sulami, edited by: Radwan Mukhtar bin Ghariba, published by: Dar al-Bashaer al-Islamiyyah, Beirut, 1st edition, 1407 AH.

❖ Lights of Revelation and Secrets of Interpretation, Nasser al-Din Abu Saeed Abdullah bin Omar bin Muhammad al-Shirazi al-Baydawi, edited by: Muhammad Abd al-Rahman al-Maraashli, published by: Dar Ihya al-Tarath al-

Arabi, Beirut, 1st edition, 1418 AH.

❖ Al-Bahr Al-Muhit fi Al-Tafsir, Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi, edited by: Sidqi Muhammad Jamil, published by: Dar Al-Fikr, Beirut, 1420 AH.

❖ Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an, Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur al-Zarkashi, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, published by: Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyah Issa al-Babi al-Halabi and his partners, 1st edition, 1376 AH - 1957 AD.

❖ Modern Interpretation, Darwaza Muhammad Ezzat, published by: Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyah, Cairo, 1383 AH.

❖ Interpretation of the Great Qur'an, Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer Al-Qurashi Al-Basri and then Al-Dimashqi, edited by: Sami bin Muhammad Salama, published by: Dar Taiba, 2nd edition, 1420 AH - 1999 AD.

❖ Tafsir al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa al-Maraghi, published by: Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Library and Press Company, Egypt, 1st edition, 1365 AH - 1946AD.

❖ Refinement of the Language, Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour, edited by: Muhammad Awad Merheb, published by: Arab Heritage Revival House, Beirut, 1st edition, 2001 AD.

❖ Jami' al-Bayan fi Interpretation of Verses of the Qur'an, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Kathir bin Ghalib al-Amli, Abu Jaafar al-Tabari, edited by: Ahmed Muhammad Shaker, published by: Al-Resala Foundation, 1st edition, 1420 AH - 2000 AD.

❖ The table in the parsing of the Holy Qur'an, Mahmoud bin Abdul Rahim Safi, published by: Dar Al-Rashid, Damascus, and Al-Iman Foundation, Beirut, 4th edition, (ed. T).

❖ Diwan Tarfa bin Al-Abd, edited by: Dr. Ali Al-Jundi, published by: Dar Al-

Fikr, Beirut, 1958 AD.

❖ Flower of Interpretations, Muhammad bin Ahmed bin Mustafa bin Ahmed, known as Abu Zahra, published by: Dar Al-Fikr Al-Arabi, (ed. edition,d.t.).

❖ Sharh al-Mufassal, Muwaffaq al-Din bin Ali Ibn Ya'ish, edited by: Ahmed al-Sayyid Ahmed, Cairo, published by: al-Maktabah al-Tawfiqiyya, Cairo, (ed. i., d. v.).

❖ Explanation of Kafiya by Ibn al-Hajib, Radi al-Din Muhammad ibn al-Hasan al-Istrabadhi, published by: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 1419 AH_1998 AD.

❖ Al-Sihah, the Crown of Language and the Sahih of Arabic, Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari Al-Farabi, edited by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, published by: Dar Al-Ilm Lil-Millain, Beirut, 4th edition, 1407 AH - 1987 AD.

❖ Safwat al-Tafsir, Muhammad Ali al-Sabouni, published by: Dar al-Sabouni for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 1st edition,(ed. T).

❖ Classes of Jurists, Abu Ishaq Ibrahim bin Ali Al-Shirazi, edited by: Khalil Al-Mays, published by: Dar Al-Qalam, Beirut, (ed. ed., d. t.).

❖ Al-Ain, Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi, edited by: Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarrai, published by Al-Hilal House and Library, (ed.d.t.).

❖ Linguistic Differences, Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl bin Saeed bin Yahya bin Mahran Al-Askari, edited by: Muhammad Ibrahim Salim, published by: Dar Al-Ilm and Al-Thaqafah for Publishing and Distribution, Cairo, Egypt, (ed., d.d.).

❖ Lisan al-Arab, Jamal al-Din Muhammad bin Makram Ibn Manzur, published by: Dar al-Hadith, Cairo, 1423 AH - 2003 AD.

❖ Al-Lum' in Arabic, Abu Al-Fath Othman Ibn Jinni, published by the National Book and Documents House, Cairo, 1979 AD.